

# منبر المحراب

السنة العشرون

العدد ١٠١٣ - ٧ / ذو الحجة / ١٤٣٣ هـ

الموافق ٢٣ / تشرين الأول / ٢٠١٢ م

## العيد والولاية «التضحية الإبراهيمية نموذجاً»

ومن الدلالات ذات القيمة الكبرى التي ترتبط بهذا الموسم العظيم التضحية الأخرى التي اشترك فيها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام وزوجه هاجر ورضيعهما إسماعيل حينما هاجر إبراهيم بهما إلى مكان البيت الحرام، وتركهما هناك بدون زاد ولا أنيس، وتحمل السيدة هاجر (رض) ما تحملت حينما علمت أن هذا أمر من الله لما سألت إبراهيم عليه السلام: «الله أمرك بهذا؟ فلما أجاب بنعم، قالت في ثقة المؤمنة: «إذن لا يضيعنا». وقد لاقت وعانت من الشدائد ما عانت، وصبرت على الخطوب حتى أجرى الله لها زمزم لتشرب وتسقي وليدها، وما زال الملايين من الحجاج والمعتمرين على مدى الآلاف من السنين يشربون من زمزم، ويروون منها ظمأهم، ويتذكرون نعمة الله عليهم، وعلى أم العرب هاجر، وأبيهم إسماعيل عليه السلام، والمناسك التي يؤديها المسلم يوم الأضحية، وقبله، وبعده: إحياء لذكرى هذه التضحيات الجسام، وتذكيراً للمسلمين كي يعلموا ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.

### ولاية الله

إن النبي إبراهيم عليه السلام كان ولياً عظيماً من أولياء الله الذي نجح في الاختبارات الإلهية حتى جعله الله للناس إماماً. والولاية لله تعني التولي أي الطاعة والانقياد والخضوع والتسليم لأوامر الله تعالى وتعالى وتكاليفه.

وولينا بالأصل الذي يجب ان نطيعه هو الله تعالى وبالتبع الرسول الاعظم وأهل بيته عليهم السلام. يقول تعالى ﴿وَمَنْ يَقُولِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالدِّينَ آمَنُوا فَإِنْ حِزَبَ اللَّهُ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾.<sup>(١)</sup>

إن التكليف الشرعي بالنسبة للمؤمن هو

لأن يوم ترك المعصية هو يوم فوز وطهارة وعودة إلى الفطرة الأولى فيكون يوم فرح.

### دلالات عيد الأضحية

يرتبط عيد الأضحية بدلالات ذات أثر بعيد في حياة المسلمين؛ لأنها ترتبط بأحداث التضحية العظمى التي استعد للقيام بها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام حينما أقدم على التضحية بابنه إسماعيل عليه السلام إثر رؤيا رآها، ورؤيا الأنبياء حق؛ لأنها وحي من الله، ولم يحل بينه وبين إتمام التضحية إلا الفداء الذي بعث الله به ليفتدي ابنه إسماعيل بعد أن اجتاز الامتحان بنجاح، وأخذ يشرع في تنفيذ الذبح بأنه استجابة لأمر الله سبحانه. ومن هذا الابن؟ وما ظروف إنجابه؟ لقد رزق به أبوه على كبر في السن، ولذلك فحينما نحتفل بعيد الأضحية المبارك فإنما نحيا هذه التضحية التي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، ولنتعلم أن المؤمن يضحي في سبيل عقيدته بأعلى ما لديه من أموال وبنين، وقد سجل المولى سبحانه هذا الأمر الجليل في كتابه العزيز إشادة بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، واستجابته لأمر الله، ورفعة لشأن ابنه إسماعيل الذي رضي بما أمر الله في شأنه، وقال: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وتقول الآيات من سورة الصافات مفصلة هذا الحدث العجل: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿فَبَسَّرْنَاهُ بِنُحْلَامٍ حَلِيمٍ﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَّ الْبَلَاءُ الْمُيِّنُ﴾ ﴿وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾.<sup>(٣)</sup>

### محاور الموضوع الرئيسية:

١. تمهيد في معنى العيد
٢. دلالات عيد الأضحية
٣. ولاية الله
٤. عدم التسليم لله يعني السقوط
٥. التهرب من التكليف الإلهية
٦. خاتمة: عيد الأضحية للمضحين في سبيل الله تعالى

### الهدف:

اظهار معنى العيد ودلالات العيد الأضحية

### تصدير الموضوع:

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام  
قوله: «...وكل يوم لا يُعصى الله فيه فهو يوم عيد»

### تمهيد

«سُمِّي العيد عيداً لأنه يعود كل سنة بضرر مجدد»<sup>(١)</sup>

فالعيد في اللغة من «العود» أي الرجوع، لذلك فذكرى الأيام التي تزول فيها المشاكل عن قوم أو مجتمع وتعود أيام الفوز والهناء الأول تكون عيداً. كذلك هي الأعياد الإسلامية فبعد شهر من طاعة الله في صوم رمضان، أو بعد أداء فريضة الحج العظيمة، يعود إلى النفس طهرها وصفائها الأولين الفطريين، ويحول التلوث عن الفطرة، فيكون العيد.

إننا نقرأ لأمر المؤمنين علي عليه السلام  
قوله: «وكل يوم لا يُعصى الله فيه فهو يوم عيد».<sup>(٢)</sup>

وفي هذا إشارة إلى الموضوع نفسه،

(١) لسان العرب، ج ٣، ص ٢١٩، ابن منظور الدمشقي.

(٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة

(٣) (الصافات: آية ١٠٠)

(٤) (الصافات: آية ١٠٠-١٠٧)



## إليه يصعد الكلم الطيب

الحجاب وحكمته جيدة، ولكن ينبغي أن يسلمن للأمر الإلهي بالحجاب، وبعد ذلك فليسألن ما بدا لهن. وربما إذا أخذت تسرد لهن غايات الحجاب وحكمته أخذن في تبرير عدم التزامهن، وخرجن لك المخاريج. إذا قلت لهن: إن الستر يصون المجتمع من الفساد، قلن لك: ولكن الزمان قد تغير والحجاب عادة قديمة والعالم إلى تطور وتقدم، والناس قد وصلوا إلى القمر، وسيصلون قريباً المريخ، ولا نعلم متى سيصلون إلى مجرة أخرى غير مجرتنا.

### خاتمة : عيد الاضحى عيد للمضحين في سبيل الله تعالى

هذا وقد توفق لهذا العيد في التاريخ أولئك المؤمنون المجاهدون المخلصون الذين ضحوا مع الرسول الاعظم ﷺ في بداية الدعوة الاسلامية في سبيل تأسيس دولة الحق والدفاع عنها بعد قيامها وشاركهم في مجد هذا العيد وفرحه المبدئي الثابت من سار على نهجهم وترسم خطاهم في معركة التحرير والتطهير القائمة فعلا بين المستضعفين والمستكبرين في العالم بصورة عامة وأبناء المقاومة الاسلامية في لبنان خاصة. وإذا عمقنا النظر في التضحية وادركنا مفهومها العام ادركنا انها لا

يخلو منها أحد يكون له هدف في هذه الحياة ويسعى في سبيل تحقيقه وخصوصاً اذا كان هدفاً كبيراً له وزنه الذاتي والاجتماعي ولا يفرق في ذلك بين كونه هدفاً مادياً يراد به تحصيل المال او معنوياً يتمثل بتحصيل العلوم والمعارف ونحوها من الاهداف المعنوية . لان كل شخص او مجتمع يرسم لنفسه هدفاً ويحدد غاية يحتاج لان يضحى براحته ويبدل ما يتناسب معها من الجهد والطاقة ويقدر ما يكون الهدف كبيراً يكون الجهد الذي يحتاجه كبيراً والتضحيات كبيرة، والى هذا المعنى اشار الشاعر بقوله :

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الأجسام

الله العظيم ﷺ لقد قصّ القرآن الكريم هذه القصة ليبين للمسلمين أهمية الطاعة للتكليف الإلهي والتسليم أمامه وأن على الإنسان أن لا يختلق المبررات لمخالفة أي تكليف طلبه الله تعالى منه.

### عدم التسليم لله يعني السقوط

يرى أن إبليس احتج على ربه ووجه إليه أسئلة عديدة بعد أن رفض السجود لأدم وكان جواب الله جل وعلا: لو كنت يا إبليس صادقاً مخلصاً في الاعتقاد بأنني إلهك وإله الخلق ما احتكمت علي بكلمة لماذا؟ فأنا الله لا إله إلا أنا، لا أسأل عما أفعل والخلق كلهم مسؤولون.

ثم يعلق الشهرستاني على ذلك: «إن كل شبهة وقعت لبني آدم منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا، نشأت كلها من هذه الكلمة، لماذا؟ أو هي ترجع على حد تعبيري إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق، والجنوح إلى الهوى في مقابل النص»<sup>(١)</sup>. هذه حال إبليس في اختلاق معاذير وتبريرات، وتساؤلات، لماذا؟ وفي النهاية سقط إلى الهاوية، بعد أن كان طاووس الملائكة وزين العباد في العالم السماوي!

ويشبه إبليس في ذلك اليهود وقصصهم معروفة مع موسى وهارون ﷺ، وقصة البقرة مشهورة حيث أمرهم موسى أن يذبحوا بقرة. لقد أمرهم الله بذبح بقرة ولم يطلب منهم أكثر من ذلك، ولكنهم لم يقنعوا وأخذوا بالتساؤلات، حتى أهلكوا موسى، وما كادوا ينفذون أمر الله تعالى. فشتان بين من يؤمر بذبح ابنه فيرضخ دون جدال وبين من يؤمر بذبح بقرة فلا يرضخ الا بعد التئ والتيا.

### التهرب من التكليف الالهي

ومن الناس من يكثر التساؤلات، فانظر على سبيل المثال إلى كثير من النساء المسلمات، اللاتي يتساءلن عن فلسفة الحجاب، هذا شيء حسن، معرفة فلسفة

الهدف الذي يسعى دائماً إلى تحقيقه. وقد يكون التكليف الشرعي في بعض الأحيان مخالفاً لمزاج الإنسان وهواه، وهنا تكون الفرصة السانحة التي لا يحب الشيطان أن يفوتها، فيدخل على الخط ليحاول ثني الإنسان عن أداء هذا التكليف إما من خلال تثبيط عزمته أو بتحريك هوى النفس الأمارة بالسوء باتجاه رغباتها وبالتالي ترك التكليف. وفي هذه الحالة يكون الأمر ابتلاءً وامتحاناً من الله تعالى لعبده، وهذا الامتحان من الله تعالى للعباد يختلف من شخص لآخر، وبحسب قدرة كل إنسان على التحمل، ولذا يختلف امتحان الأنبياء عليهم السلام عن امتحان سائر البشر لتفاوت القدرات بينهم. لقد كان التكليف الإلهي الذي اختبر به الله عز وجل خليله إبراهيم ﷺ عظيماً، وعظيماً جداً إنه أمر قد يسقط في الالتزام به الإنسان العادي والذي لم يصل إلى المقام الإيماني العظيم الذي وصل إليه النبي إبراهيم ﷺ، فأى بشر يحتمل أن يذبح ولده فقط طاعة لله ولأن الله أمره بذلك دون أن يعرفه سر ذلك.

هنا كان الموقف الكبير والقرار الذي لا مداهنة فيه، وهو الانقياد التام لأمر الله تعالى والطاعة والتسليم، فيقود ولده نحو المذبح هذا الولد الذي جاءه بعد دعاء استجابته الله تعالى له، ولكن إذا كان الله هو الذي أعطى فله كل شيء وعلى إبراهيم ﷺ أن يطيعه. وتتجلى الطاعة عند إسماعيل ﷺ هذا الفتى الذي خاطب أباه بالطاعة، مشهد رباني حدثنا عنه الآيات الكريمة:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مِمَّا سَمِعَ قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي آرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وكانت سنة إبراهيم هذه في ذبحه للذءاء أمراً إلهياً بالتضحية على كل من حج بيت الله الحرام تذكيراً لهذا الإنسان بالموقف العظيم لنبي من أنبياء

